

كانون الثاني - آذار ١٩٤٠

العدد الثامن والثلاثون

الامبراطورية الفارثية ورومت*

بنلم الاب رينه مورتد اليسوعي

مترجم

سورية ترتف منطقة الحدود الشرقية في الامبراطورية الرومانية ،
 كما أنها ونظما الامبراطور اوكتاين اغسطس .
 وكانت رومة قد سبت فبسط سلطتها ، مدة قرنين
 كاملين ، على مجمل العالم المتوسط . حتى اذا ظير اغسطس على عرش القياصرة ،
 كان من هه ان يثبت هذه الملكات ، ويؤمن ملك الرومان حدودا طبيعية .
 ومن المقول ان تحتل سورية مركزا اوليا في احكامه هذا . وقد رأى ان لا
 يرسي الى التوسع ، كما رسي اليد بعض خلفائه كترابان وتراقلا اذ حلما بتدريجات

* مادة الحاضرة الاولى من محاضرات « مهد الآداب الشرقية » في فرع « التاريخ
 والاثريات في سورية وثينية » .

يذهبان اليها من سورية الى الشرق ، متشبهين بالاسكندر الكبير ؛ تقصر همة على وقف العالم الروماني على شاطئ الفرات وحدود الصحراء . ذلك ان الصحراء تظهر حدًا طبيعياً صالحاً . ولطالما سعى الرومان الى خلق مساحة مقفرة تفصل بلادهم عن بلاد الاعداء ، فاكتسحوا الاراضي على شاطئ الرين ، وجلوا البرابرة من السكان على طول المناطق المحتلة ، حتى يكوّنوا اراضي خالية ، لا تتألب فيها الجوع في سيل الانتقاص الا رآها الميون ، وشعريا الأرصاد .

بيد ان الصحراء في سورية ، ولا سيما ما كان منها متاخماً لمناطق الحضرة ، ليست من الحلال بحيث توافق غايات الرومان من تلك الاراضي المقفرة . فالبدو يأهلون هذه القفار ، على تراسيها في الابدان . ومهما يكن من ضالة شخصهم ، واختفائهم في الاعوار المتعددة ، ورواء الكتبان المشابهة ، فانهم لا يلبثون ان يظهرها ، مجتاحين البوادي طولاً وعرضاً ، عائنين بالنزوة ، مدافمين ، حتى الهلاك ، عن حريتهم التقليدية .

وهناك ، الى الشمال ، على الفرات ، بمالك صغيرة او إمارات منظمة منيا كوماينية ، وأوسرينية ، وارينية . فكان على رومة ، والحالة هذه ، ان تعزز حدودها في وجه البدو فتضبط زعامتهم ، وان تبسط نفوذها على هذه الامارات المتاخمة لها فتأمن شرها . ولكنها اصطدمت ، في هذا المشروع المزوج ، بامبراطورية نشيطة كانت ترمي الى الهدف نفسه على الفرات الاعلى ، تُعرف بالامبراطورية الفارسية .

هي امبراطورية قوية شديدة البأس . وناهيك في بأنها آتيا قاومت رومة مقاومة مجدية حتى ان المؤرخ فرونتون لم يحجهم عن القول : « لقد قام الفارثيون وحدهم ، بين البشر اجمع ، فجاءوا الشعب الروماني بمدارة مخشبة ابدأ . »¹⁾ وهذا تلييت يشبه مقاومة الفارثيين بتقاومة الجرمانيين لرومة .

1) Froato, *Princ. hist.*, p. 315, Mai (apud Chapot, *La Frontière de l'Europe*, p. 39)

تأسيس الامبراطورية

كيف أنست هذه الامبراطورية الفارسية ؟ وما هو أصل هذا الشعب الفارسي ؟
سوالان من الصعب ان نجيب عنها في حالة معلوماتنا الحاضرة . فلنكتفِ بالقول
ان تأسيس الامبراطورية في نحو السنة ٢٤٧ ق . م . يُنسب الى الملك تيريدات
المتخذ اسم أرساكيس . وأرساكيس هذا هو المؤسس الرمزى للدولة التي نُسبت
اليه فقيل الدولة الارساكية . اما مؤسس الامبراطورية الحقيقي فهو ميتريدات
الاول ، ملك الفارسيين ، الذي حكم من نحو السنة ١٧٠ الى السنة ١٣٨ ،
وامتدت سلطته من بحر قزوين الى خليج العجم .

وقد عزز نشأة هذه الامبراطورية حادثان مهمان : اولهما ضعف الدولة السلوقية
منذ انتصار الرومان على انطيوخوس الثالث سنة ١٩٨ ، في مغنيزية على المياندر .
وثانيهما تلك الحركات العميقة في شعوب آسية التي بدأت منذ القرن الرابع قبل
المسيح ، واخذت تقذف بالجاهل المقتاحة نحو الغرب والجنوب .

وكان من تلك الاقوام الشعب القرني او البرقي الذي يدعوه اليونان والرومان
« الفارسي » ، واصله من القبائل النازلة ، جنوبي شرقي بحر قزوين ، في تلك
البطائح المنبسطة شمالي هركانية . وليس من شك في ان الفارسيين من عنصر
ايراني ، تكلّموا لهجة ايرانية كسبها ، في ما بعد ، باخط الفهلوي . وكانت
اولى محاولاتهم في اكتساح الاراضي السلوقية في نحو السنة ٢٨٠ ق . م . ثم
توصّلوا الى احتلال مرزبانية هركانية - فارسية . ومنها تقدّموا الى بلاد ميديا
وجعلوا من اكبثان او همدان ، عاصمة صيفية لهم . وفي نحو السنة ١٥٠ ق . م .
اجتاحوا بلاد ما بين النهرين ، واجتازوا القرات الى احتلال المنطقة القائمة
بينه وبين الصحراء ، واشهر مدنها دورا - اوربوس ، او العالحية كما تُدعى
اليوم ، الواقعة في الطرف الشرقي لمنطقة الانتداب الفرنسي . ولا يخفى ما كان
من اتحال دائم وثيق بين سورية ومدن المنطقة المذكورة الواقعة في نفوذ تلك
الدولة النصف المتحجرة . وكذلك القول عن تدمير البادية منذئذٍ باستغلال
تجارها على افضل ما يمكن .

النظام الاجتماعي

اما نظام الفارثيين الاجتماعي فلا نعرف عنه إلا الشذرات . يظهر ان في اساس المجتمع الفارثي طبقة من سرة الملاكين ذوي الاراضي الواسعة . وان للسلك سلطة مطلقة ، لا تنم عن استشارة مجلسين ساميين : مجلس مدني يرؤفه اعيان الامة ؛ ومجلس ديني يجمع الحكماء او المجوس . ومن حق هذين المجلسين انتخاب الملك . وليس من الضروري ان يكون الملك المنتخب بكر الملك السابق . ومن المعروف ان الملك يتزوج عدة نساء ، وكثيراً ما يتزوج اخته او اخواته جميعاً ، كما هو مألوف في عادات الفرس القدماء . ويُدعى الملك « اخ الشمس والقر » .

واما ديانة الفارثيين فالزردكية الشمية . وهي تختلف عن الزرادشتية الاصلية ، وعن عبادة النار التي سيتخذها الساسانيون بعد ان يقبلوا الفارثيين ويحاوروا محلهم على عرش بلاد فارس في السنة ٢٢٧ للمسيح . فيتابع ملوكهم بتجاهة رومة وبيزنطية بآس اشد واجدى .

المدن الفارثية

امتدت الامبراطورية الفارثية من بحر قزوين الى ما وراء الفرات من ناحية الغرب ، منبسطة من بطائح هركانية في الشمال ، محتلة « طريق الحرير » منذ السنة ١١٥ ق . م . ، التي كانت تتخذها القوافل القادمة من الصين بطريق تركستان ، مستفيدة من هذه التجارة المزدهرة في القرن الاخير قبل المسيح ، ولا سيما في مناطق فارثية ، وميدية شمالي بلاد الافغان الحالية .

وكان من عادة الفارثيين في بناء مدنتهم ان يحاورها محصنة مستديرة كدند الحثين وغيرهم من الشعوب القديمة . وقد رأينا هذا الرسم المستدير في بناء المدن المحصنة في تل المعزر الذي اشارت اليه آخر المراقبات الجوية على الحد الشرقي للامبراطورية الرومانية ، كما رأينا في بنداد الباسيين ، بشهادة موزخي ذلك

العصر.^{١)}

وهو رسم مدينة فَرَاتَا او فَرَاآبَا الفارسية المروفة اليرم باسم طاق-إبي-سليمان الواقعة على قمة جبل يبلغ ارتفاعه ٢٤٠٠ م ، على ٢١٠ كيلومترات جنوبي شرقي بحيرة أورمية^{٢)}. هي مدينة مستديرة يحيط بها سور ذو ٢٧ برجاً بارزاً ، يفتح فيه بابان . وفي دائرة المدينة بحيرة جبلية يندورها ينبوع دائم . وكان الملك فَرَاتَا قد جعلها حصناً لفسائه وتخزناً للأمواله . فثنى عليها سرقس انطونيوس الروماني احد الثلاثة المسطيين ، وحاول فتحها سنة ٣٦ ق . م . في غزوة مفاجئة . ولكنه لم يُفلح . (الرسم ١)

ومن مدن الفارسيين الشهيرة حَطْرَة التي بُنيت في اوائل القرن الأول قبل المسيح^{٣)} . وجعلت نجرًا في وجه المدر ، ومحطة مهمة للقوافل ، على نحو ٥٠ كيلومتراً الى الغرب والشمال الغربي من مدينة اشور القديمة ، على الطريق الآخذة من بابل الى تَرَب ، قريباً من منبع الخابور . هذه المدينة كانت بحاطة كسدينة فَرَاتَا ، بسور مستدير يتجاوز قطره ٣ كيلومترات . وفي وسطها مستطيل يطيف به خندق وسور ، وفي المستطيل قصر ذو إيوانين او ليوانين . (الرسم ٢)

وبما امتاز به هذا التصرف متفرعة يونانية الإلهام ، ولكنها مصنوعة بأيدي الفنانين الوطنيين . منها اقنمة وجيبة تملوها شرفة^{٤)} ، تشبه الاقنمة المحصورة على جدران يومبي^{٥)} ، ولها ، مكان السيون ، أحجرة برآقة وافرة التأثير . الأ أن زينا عادي مبتذل مكرر نفسه في جميع الاقنمة دون تنوع^{٦)} (الرسم ٣) . يظهر هذا الزخرف على جدران الايوان او الليوان . والليوان هو للاستقبال

(١) اطلب المشرق (٣٢) [١٩٣٦] (٧٦)

(٢) راجع Arthur Upham Pope, *Illustr. London News*, 26 Févr. 1938, pp. 348-9

(٣) W. Andrae, *Hatra*, I^r Teil, 1908, II^r Teil, 1912 (*Wissenschaftliche Veroeffentl. des Deutschen Orients - Gesellschaft*, n^o 9 et 21)

W. Andrae, *Hatra*, I, pl. IV

(٤) راجع Rostovzeff, *Dura and the Problem of Parthian Art*, 1935, p. 214 n. 69 et pl. 32 a

W. Andrae, *Hatra*, II, p. 155 et pl. XIX, 3

مستطيل مقترح للهرم. الطلق ، يفضي الى ساحة فسيحة. وهو من افضل الابنية واوقتها لاولئك البدو نصف المتحضرين . ويرى بعض العلماء ان الليوان ار الايوان ايراني الأصل غدا من اعم المظاهر البنائية في عمارة الساسانيين ، وكذلك في عمارة « البرادي » او بنايات الخلفاء الأمويين في البادية.^(١)

ملوك الفارثيين

ولم يكن ملوك الفارثيين ، اصحاب هذه القصور الجميلة ، ليجيوا حياة البرابرة. وقد دلت الآثار على انهم اخذوا بنصيب من الحضارة البنائية كما رأينا ، ومن الحضارة الفنية كذلك. ولدينا عدة نقود وبقوش مُثِلت فيها رزوس بعض الملوك والملكات . منها دراغم فضية^(٢) عليها صورة مثيريدات الثاني (١٢٤-٨٧) معاصر سيلا الروماني ، وفراآت الثالث الذي اتخذ لقب « ملك الملوك » سنة ٦٦ ق . م . وكان معاصراً لپوميپوس . وفراآت الرابع ، معاصر اغرستوس .
وبما اكتشف حديثاً في مدينة شرشن رأس امرأة من نساء الملوك ، يرتخا الى القرن الاول قبل المسيح على التقريب . وهو من صنع نحات ، يوناني كما يدل الاسم المحفور : « انطيوخوس بن درياس صنعه » . اما زبي الرأس فقارثي بطريقة صنع الشعر كتلة واحدة مرفوعة الى اعلى الرأس ، ينحدر منها غديرتان مستديرتان مسترختان كل الى جهة خذ من الخدين . ويظهر ان صاحبة هذا الرأس سيدة جميلة تميل الى السن وهي في منتصف العمر ، ويشبها الاستاذ كرمون بتسائل افروديت السورية^(٣) . ولعلها الجارية اللاقية . موسى التي اهداها اغرستوس قيصر الى الملك فراآت الرابع . (الرسم ٤)

الثياب والاسلحة

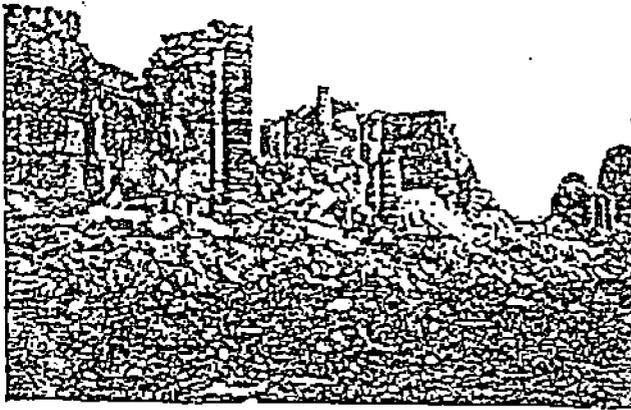
ولا بد من الاشارة الى ثياب هؤلاء الملوك زمن السلم ، وفي مواقع

(١) W. Andrae u. H. Leuzen, *Die Partherstadt Assur*, 1933 (*Illus. Per.* ١)
D O G a. 57), p. 5

(٢) راجع Fr. Sarre, *Die Kunst des alten Persien*, pl. 66

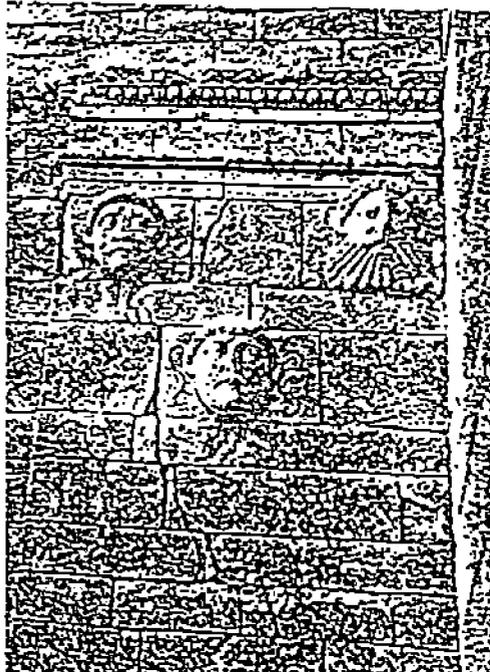
(٣) راجع Cumont, *CRAI*, 1939, pp. 330-339

الرسم ١
 قصر
 مدينة فرا آتا
 يرى في شبلي
 للصورة بعض
 الخرائب ، مع
 البحيرة الجلية
 الموجودة
 ضمن الاوار



الرسم ٢
 خرائب مدينة
 حطرة
 آثار الباب الداخلي

الرسم ٣
 بعض الاقنعة التي تزخرف
 قصر حطرة





الرسم ٥
انظيروخوس وبيترا



الرسم ٦
رأس الملكة المكتشف في شوشن

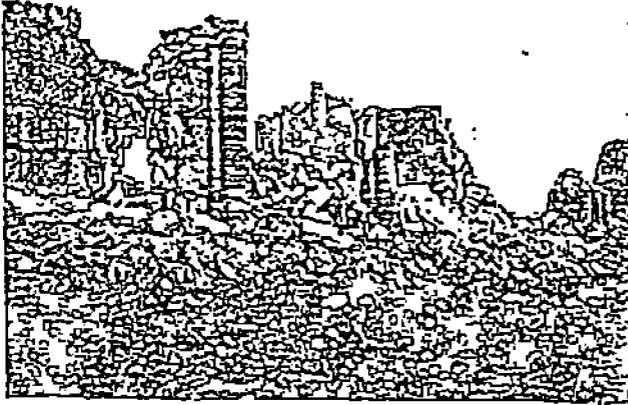


الرسم ٧
رأس الشمال المذكور



الرسم ٦
نبتال نارني

الرسم ١
 تصحيح
 مدينة فرا آتا
 يرى في شمالي
 الصورة بعض
 الخرائب ، مع
 البحيرة الجبلية
 الموجودة
 ضمن الاسوار



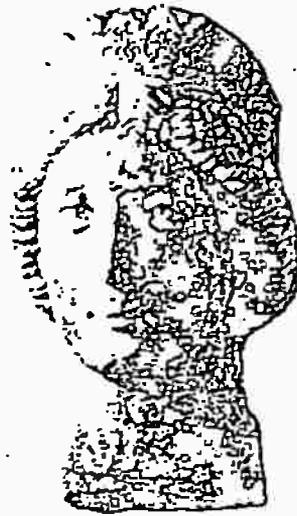
الرسم ٢
 خرائب مدينة
 حطرة
 آثار الباب الداخلي

الرسم ٣
 بعض الاقنعة التي تزخرف
 قصر حطرة





الرسم ٥
انتليوخوس وبيترا



الرسم ٤
رأس الملكة المكتشف في بوشن



الرسم ٧
رأس التتال المذكور



الرسم ٦
تتال نارفي

الحرب^(١) - كان ثوب الملك الفارثي لا يختلف ، على التالاب ، عن الثوب الفارسي ار الفارسي - الفارثي الظاهر في رداء انطيوخوس الاول ، ملك كوماجينه ، ورداء ميترأ البارزين في نقش نمرد داغ في بلاد كوماجينه ، الراقى الى ما قبل السنة ٣٨ ق.م . (الرسم ٥) وهذا الثوب شبيه بالثوب التدمري البارز في اجمل القروش المدفنية المكشوفة في مقابر تدمر ، كما لاحظ ذلك الاستاذ سيديغ . وهناك رداء حربي ، وهو رداء الأشراف - يتألف من ثوب يشبه الرذنكوت ، بالمعنى الاصلي ، اي الثوب المختص بالحياة . ويتيمه عقد يضمه الفارس في عنقه ، ويملأ سيفاً بزئاره . كما يظهر في نقش محفوظ في متحف برلين .^(٢)

وقد استفدنا من اكتشاف حديث ذكره السر ارريل ستين والاستاذ اندره فودار ، مدير مصلحة الآثار الإيرانية^(٣) ، معرفة بثوب امير فارثي صغير كان يقيم ، في القرن الاول بعد المسيح ، في مدينة شامي قرب مايبير في منطقة خوزستان ، على نحو مائة كيلومتر شرقي شوشن . واجمل القطع المكتشفة تتألف من البرونز يبلغ طوله متراً واربعة وتسعين سنتيمتراً . ويؤلف من قطعتين مختلفتي اللون : الجسم وهو اقل من ان يكون مصنوعاً في غير المكان المكتشف فيه . يرمي لونه الى الاخضر الباهت . والرأس وهو اسود اللون . ويظهر انه اصغر من ان يتناسب تماماً مع الجسم ، لأنه يخالف قاعدة القدام . يجلمهم نسبة الرأس الى الحجم الكامل نسبة واحد الى سبعة فقط . اما الرأس الحالي فانه يتضمن ثمانى سرات ونصف في مجمل طول التثال . فيرتجح اذا ان الرأس سبك وحده ، وقد يكون عمل فنان غير الذي قام بصنع جسم التثال . (الرسالان ٦ و٧)

اما الشخص الممثل فليس في ثيابه شي . من الملامح الاسيوية . بيد ان ما يبتنا ، فوق هذا ، هو الثوب الذي يرتديه ، يؤلف اولاً من سرة تشبه سرة السكيثيين ، مقترحة على الصدر بين منطقتي جلد ، مقفلة على الوسط بزئار .

(١) راجع Fr. Sarre, *op. cit.*, pl. 65

(٢) راجع Fr. Sarre, *op. cit.*, pl. 65

(٣) A. Godard, *Les statues partielles de Shami, Akami, Athâr-e-Irân*, II, 2, 1937, pp. 285 ss.

وتحتها سراويل قصيرة . اما الساتان فلا يغطيها سراويل الفرس المتفل ، بل يلتف عليها طمانان ينحدران لئلا على القدمين فيسهلان على الفارس ركوب الفرس . وعلى كل فخذ خنجر طويل .

ويظهر ان هذا الردا . الركوني كان ردا . النبالة الفارسيين ، من تمرّدوا ، في حربهم ، ان يتظاهروا بالحرب امام العدو ، حتى اذا لحق بهم فافترب منهم ، داروا عليه ورموه بنبلة لا تحطى :^(١)

ولدينا قطعا آبر مكشفتان في سوربة^(٢) تمتلان خيالة من السكيثيين . وهم يختلفون عن الفارسيين باستعمال القوس ، ولكن ثيابهم لا تختلف في شيء . عن ثوب امير شامي الفارسي . (الرسم ٨)

على هذا الزي ثوباً وسلاحاً ، ما عدا القوس ، كان الاربعون الف فارس نبال الذين عبأتهم فارسية لمقاومة كارس .

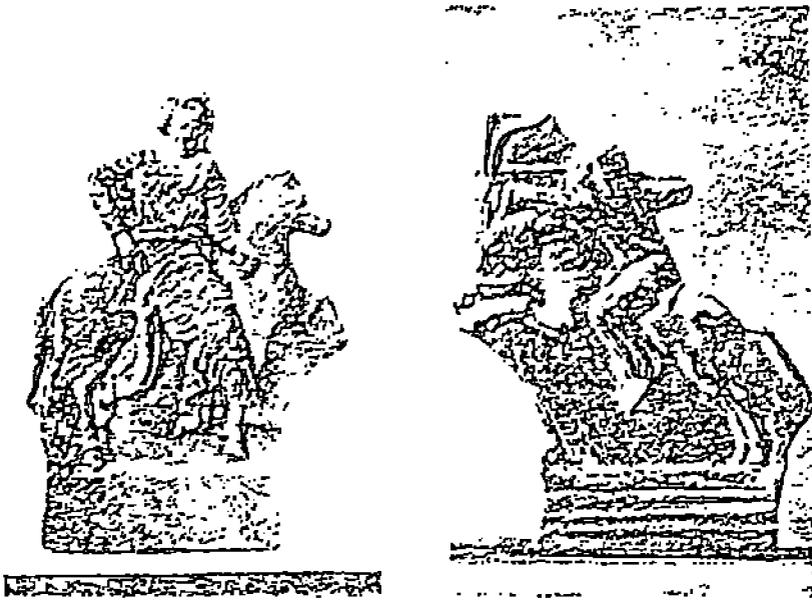
ومن كتاب الفارسيين الخاصة بهم كتيبة الفرسان ذوي الخيول المدرعة . وكانت تبلغ الستة آلاف في جيش فارسية . هم فرسان من اشراف الدولة ، كانوا يلبسون ويلبسون خيولهم الدروع المنسوجة بالزرد ، او دروع الجلد المتزل فيها قطع الحديد ، ويتسلحون برمح طويل وسيف عريض . وقد وُجد في دورا - اوردوس ، غربي الفرات ، صورة لاحد هؤلاء الفرسان ، مع درع من ذوات الحديد المتزل تكاد تكون تامة^(٣) . ولم يكن العدو لينال من هؤلاء الفرسان الا عن الجبين او على الساتين ، لانه ، لما لم يكن خيولهم ركاب ، كان من الضرورة ان يُطلق الساتان للاستساك على ظهر الفرس .

وكان لا بد لهؤلاء الفرسان من خيول ضخمة قوية . فكانوا يأتون بها من مقاطعة نيزية في بلاد ميديا ، تمتاز بملوّ صهواتها ، وضخامة عياكلها ، على خيول البطائح الضامرة . وكان ان ارمينية اخذت تستورد من هذه الخيول

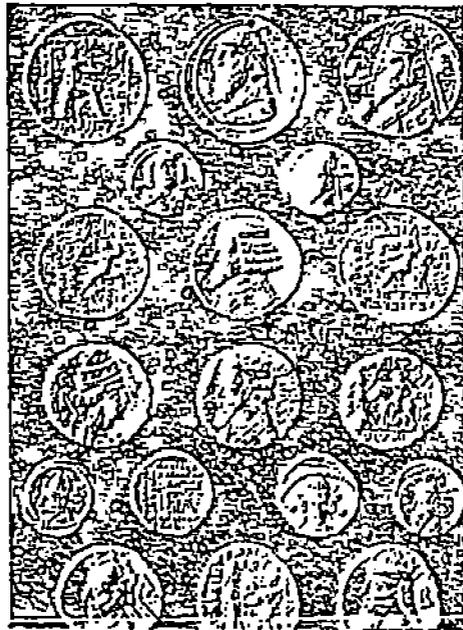
(١) كما يقول فرجيل : *Giorgi* : Fidentemque fuga Parthum versisque sagittis (*que*, III, 31)

Fr. Sarre, *op. cit.*, pl. 54 (٢)

Cambridge Anc. History, *Vol.* of Plates, IV, pl. 26 (٣)



الرسـم ٨
 قشالان من الآبجر لحالة فارثين او سكيتين



ذنود فارثية



الضخمة ، وتلتها بلاد الصين . وقد رأينا الجنس نفسه من الحيول ، بعد اربعة او خمسة قرون في آثار الساسانيين . من ذلك فرس ساير الاول في ذلك النقش الذي يمثله مستقبلاً خضوع الامبراطور فاليريان المأسور على اثر انكساره سنة ٢٦٠

فَارِثَةُ وَرُومَةُ

هذا هو الشعب بأسلحته ومدآته ، الذي كان على رومة ان تجابهه بكتائبها منذ عهد بومبيوس .

في السنة ٦٦ قبل المسيح ، بعد ان انتصر لوكلوس على دكران ، ار تيفران ، ملك ارمينية ، طلب فرآآت الثالث ، ملك الفارثيين ، عقد محالفة مع رومة . فرضيت رومة ، ونال الملك الفارثي ، بنضل هذه المحالفة ، ان يجعل حدود مملكته الفارسية مجرى الفرات . على انه تردد في السير لمعونة رومة في محاربة دكران .

وتشاء الأيام ان تتقلب سياسة دكران ، فينتهي الحرب بمصالحة رومة ويصبح صديق الشعب الروماني . فيذكر بومبيوس ، الذي خلف لوكلوس على قيادة الجيش الروماني ، ما كان من تردد فرآآت في معونة رومة . فيجرمه المقاطعات التي كان موعوداً بها ، ويرسل احد ضباطه ، المدعو أفرانيوس فيحتلها باسم رومة .

عند ذلك مشى فرآآت على بلاد دكران واحتل مقاطعة أديابينة ، مقاوماً رومة تقاومة البرن لبرنه .

وكان في هذه المقامة ما يجبه الرومانيون اعتداء جريئاً ، بل جرعة لا تتخبر . فتكّر بومبيوس باكتساح بلاد ما بين النهرين بأسرها ، على ما يروي بعض المؤرخين . بيد ان الحوادث حوّرت في خطط هذه الحرب .

وذلك انه في السنة ٥٥ ق . م . نشب خلاف ، على الملك ، بين ولدي فرآآت الثالث وهما مقريدات الثالث واروديس الثاني . فاستعان مقريدات بالرومانيين . وسرعان ما مشى لتجده غابينيوس ، حاكم سورية ، فقطع الفرات جاداً . ولكنه ادركه اذ ذلك مرند من قبل بطليبيوس الحادي عشر ، ملك

مصر اللاجئ الى قبرص ، يعرض عليه عشرة آلاف وزنة من المال ، اذا اعاده الى عرشه . نرجع غايينوس على اعقابه وانجه جهة مصر .

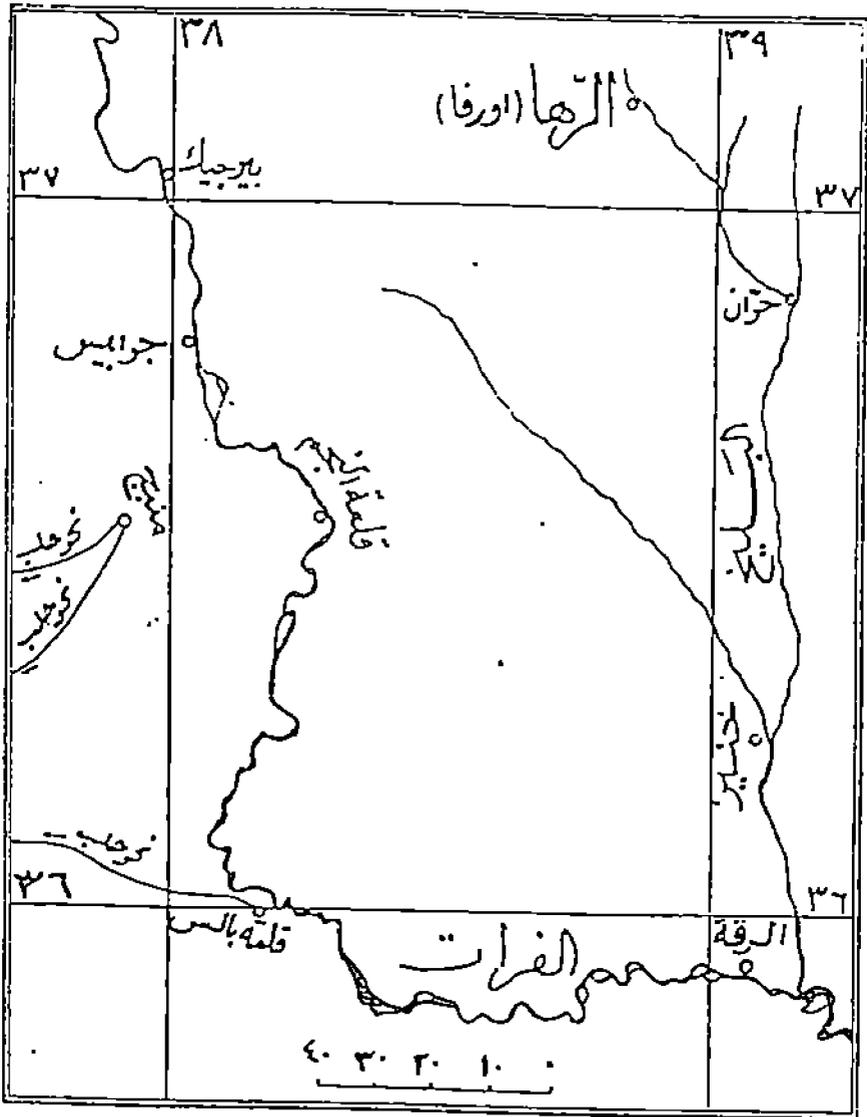
فغاب اهل ميديتات الثالث ، وغلبه على امره احد اعضاء اسرة سورين الارستوقراطية . فالتجأ الى سلوقية ، على دجلة ، وتخصن فيها مدة ، ولكنه لم يلبث ان استسلم وهلك في السنة ٥٤ ق . م .

وفي السنة نفسها مثنى القائد الروماني كراسوس — وهو مرقس لينيوس كراسوس ، الذي كان قد ألق السلطة الثلاثية الاولى مع قيصر وبومبيوس — فدخل الاراضي الفارسية على رأس سبع كتاب .

ولا يهنا البحث في الاسباب الياسية الداخلية التي دعت ارباب الحكومة الثلاثية الى تسيير هذه الحملة المشؤومة . انا المهم ان ندرس ما قامت به من تجريد رجلي حرب وطريقتي عراك ووضعها وجهاً لوجه .
قال تارن في تلريجه :

« كان كراسوس من اولئك القواد الذين كثيراً ما عرفتهم رومة ؛ شجاعاً عتيداً ، ذا مقدرة متوسطة ، شديد التثبت بأرائه . وقد يظهر انه ظن مهته تقوم بوضع كتابه تجاه العدو ، فتقوم الكتاب من نفسها بما بقي . ولم يكن رجاله يشرون باقل اخلاص لشخصه يدفهم الى التضحية في سبيله ، ولم يكن هو ليفهم كيف يمكنه ان يولد هذا الاخلاص . وكان من سوء حظّه انه صادف ، في آخر حياته ، خصماً يتصف بكل ما كان يتفقه من خيلة . »

وكان هذا الخصم يدعى سورينا — او السوريني نسبة الى اسرة سورين الارستوقراطية ، — من رايناه يساعدا اوروديس الثاني على اخيه ميديتات ويثبت عرشه . وكان قد اصح الشخص الثاني في الامباطورية كلها ، تألف من رجاله جيشاً بلغ عشرة آلاف فارس منلحين بالقسي وحدها ، وهم نبالو الفارسيين المشهورون الذين تمرنوا طويلاً بمرافقتهم قائدشم سورينا في جميع غزواته . وكان هذا « البربري المتأنق » ، كما يسميه كركوينو متخذاً تمبير بلوتوك ، يجس بين أنتي . مظاهر الترف واشد عزائم الشجاعة . « كان يجمد شعره ، ويخلط وجهه ، ويجر وراءه عدداً من النساء كبيراً . ولكنه يخفي ، تحت ردا . هذا الشباب



خارطة مستطيل الأُسُورين
 لتتبع المعركة بين الرومان والفراتيين

البراق ، وهو لا يتجاوز الثلاثين ، دها ، عميقاً ، وعزماً ايأ ، وغبرة شيخ
حشكه الحروب . «

فراى ان يتم ممدات خياله بألف جل تحمل الذخائر من النبال . وهكذا
سد تلك الثلثة التي كثيراً ما ظهرت في حروب النبالة فاضطرتهم الى وقف
المركة اذا ما فنيت عدتهم من النبال^{١١} .

* * *

تقدم كراسوس مرعاً فاحتل مناطق البلخ ، وهو احد سواعد الفرات ،
يرتف الحذ الشرقي للمستطيل المعروف بمستطيل الأسرؤين . على ان القائد
الروماني اضاع الشتا . عبأ في سورية . حتى اذا عزم في آخر ربيع السنة ٥٣ ق. م .
على هاجمة الفارتين ، كان هولاء قد قرروا خطتهم باليد على ملك ارمينية
ليسنموه مساعدة الرومانيين . وقد قام بتنفيذ هذه الخطة الملك اوروديس الثاني
بنفسه . اما القائد سردينا فقد عسكر بجيشه على البلخ ، بين حران وخنيز او
إختاي ، في نقطة تقاطع فيها الطريقتان الآخذتان من بلاد ما بين النهرين الى
سورية ، فتصد الواحدة الى الشمال قاطمة الفرات على جسر يلقين ، او زوغمة ،
وتسير الاخرى جنوباً نحو منبج ، بامبيكة - هيرابوليس القديمة ، منعقدة منها الى
حلب . (راجع الخارطة في الصفحة السابقة)

تقطع كراسوس الفرات ، تحت زوغمة . وكان في جيشه ٢٨٠٠٠٠ من
رجال الكتائب ، و ٤٠٠٠٠ فارس روماني ، و ٤٠٠٠٠ جندي من المشاة ،
وفرسان اميين من امراء البادية اسما أيجر الثاني ، أمير أوسرؤين ،
والشردونيرس او ألخودونيرس (كذا) . ولم يكد يصل الى منبج منعقدراً
والفرات ، حتى وردت الاخبار بظهور خيالة المدرجة جهة الشرق . فحمله الخيالة
على اقتراف الخطأ بتركه شاطئ الفرات ، واندفاعه وراء اولئك الخيالة في
مجاهل بدوية لا ما . فيها . اما آبارها المنفرقة فلا تكاد تفصل عن حاجبة الجمال .
وبعد سير يوم ونصف يوم ، دون ما ، تحت شس آيار ، ادرك الجيش حفة

البلخ بين حرّان وخنيز ، عند ظهر السادس من ايار (او الثامن والشرين منه) . ولم يكد الجند يتناولون غذاء خفيفاً سريعاً حتى فاجأهم القائد بأمر السير جنوباً نحو خنيز . عندئذ وصل اليه الخبر بان الفارثيين هاجموا على جيشه . اما الاميران العريبان أبجر وألخودونيوس فاختميا في فرسانها بسرعة عجيبة . واما كراسوس فصفت جنوده على طول البلخ . وعهد الى ابنه يوبليوس كراسوس بقيادة الميسرة ، والى كاسيوس بقيادة الميسنة ؛ محتفظاً بالقلب لنفسه مؤلفاً فيه ٤٨ فرقة على ذلك الشكل المربع الذي اصبحت منذ عهد لوكولوس خطة الكتاب الناجمة في مقاومة فرسان المشاركة . ولم يلبث الفارثيون ان ظهوروا ، على ضرب صنوهم وطبولهم ، يرفمون الألوية الحزبية خفاةً باعلها من العتبان تجابه عقبان رومة . وكان اول اعلمهم ان اطلقوا الأعنة لحيولهم الثقيلة فهجت ، مزعجة مراكز المشاة الذين كانوا يؤهلون جبهة الجيش الروماني . ثم انسحبت الحياالة الثقيلة الى ما وراء الرماة قبدأ هولاء علمهم مطربين الرومان وأبلاً متابعاً متواصلًا من النبال . وان يكن الترس الروماني بقي صاحبه من السهم المرمي مستقيماً ، فكيف باتقاء السهم المنحرف او الآتي من وراء الظهر . وآتى لفرسان رومة ومثاتها بمقاومة هذا الويل المهابط من كل ناحية المتدفق من كل صوب ، تمده الذخيرة التي يحملها الف رجل وراء النبال .

ولم يطل المراك حتى كاد المدوّ ، وهو لا يتجاوز ثلث الجيش الروماني عدداً ، يميل الى النصر فيحفظ على ميسنة الرومانيين ، قبل ان يتم تأليف المربع في الوسط . عند ذلك امر كراسوس ابنه يوبليوس الذي كان يتولى قيادة ثمانى كتاب ، والى نارس غالي ارسلهم قيصراً ، وبعض الوحدات الخفيفة ، ان يبدأ الهجوم . فأطاع الشاب واندفع بفرسانه على المدوّ . بيد ان الفارثيين ، في تراجعهم ، تروء الى أبعد ما كان يريد ، فانقطع عن مشاته ولم يتو فرسانه القائلون على مقاومة فرسان الفارثيين المصححين فكانت كسرتهم قاضية عليهم وعلى قائدهم . ولم كان ألم كراسوس شديداً عندما رأى احد الجنود يحمل اليه رمحاً ركز فيه رأس ابنه يوبليوس . على انه تجلّد وقال للجندي ان الألم له وحده ، والمهم ان تنتصر رومة . وانصرف الى تعزيز مرتبه ، في الوسط ، الذي ظل يقاوم حتى

الليل . وفي الليل تراجع الفارثيون عن المراك شأنهم في جميع حروبهم .
ولو أحسن كراسوس خطته الحربية لكان أمر بالمهجوم على مسكو الفارثيين
ليلاً . فبيتهم ، وهم مشاة لا يميزون في الظلام اهدافاً لنبلهم . على انه أخطأ في
الاولى ، وأخطأ في الاخرى . ولم يكن في جيشه اذ ذلك الا من يفكر بالحرب .
فتراجع الجند مع قائدهم تاركين ٤ آلاف جريح ، ملتجئين الى حران . ولما لم
تكن المدينة صالحة للحصار ، حاول كراسوس في الليلة الثانية ان يصل الى
بشاعة في سفح جبال أرمينية . ثم وقع في جبال الحداع اذ دُعي الى عقد صلح
مع الفارثيين ، فقبض عليه وقتل في ١ ايار او ١ حزيران سنة ٥٣ ق . م .
وهكذا انتهت هذه النزوة المخففة ، بانكار قلماً عرفت رومة مثله ذلاً
وصناً . ومن جيش كراسوس البالغ ٤٤,٠٠٠ لم يوجع الا ١٠,٠٠٠ ادركوا
سورية فالت منهم كلوس كتيبتين كلنهما الدفاع عن هذه البلاد . وأسر
الفارثيون ١٠,٠٠٠ فاقاموهم في سرور يدفعون عن حدود فارثية غزوات بدو
تلك البطائح . وبلغت خسارة الرومان ٢٠,٠٠٠ رجل وألوية سبع كتاب^{١١} .

* * *

ظل هذا العار لاحقاً بالرومانيين حتى عهد اغسطس . فلا يقصر الذي اعظم
في آخر ايامه تعبته جيش ينازل الفارثيين ، ولا انطونيوس الذي قام بنزوة مخففة
على فراآنا ، لم يتسكنا من استمادة المعبان الرومانية التي خسرها كراسوس .
بل ان اغسطس نفسه لم يتوصل الى ذلك الا بطريق المفاوضات السياسية
سنة ١٩ ق . م . ، اي ٣٤ سنة بعد تلك المعركة المشؤومة .
رشد ما افتخر الإمبراطور بهذا النجاح حتى انه حفر ، في عهده السياسي
المتقوش على جدران هيكل انقرة (أنقرة اليوم) ما معناه :
« عدد كبير من الألوية الحربية التي خسرنا غيري من التواد استرجعتها من
الاسبان ، والغالين ، والدلماتيين . وأجبرت الفارثيين على ارجاع أسلاب ثلاثة

جيوش رومانية وألويتها ، وعلى ان يطلبوا صاغرين ، صداقة الشعب الروماني . وكل هذه الألوية والشائر وضعتها في هيكل المربخ ألتور «^{٢١}» . ولم يغفل الشعراء والفنانون عن التهليل لرجوع هذه العقبان الرومانية . وقد رأينا على دينار روماني مصكوك في السنة ١٨ ق . م . اشارة الى استقبال اغسطس لهذه الألوية المسترجة ، اذ نُقش على احدى جهتي الدينار *Caesar Augustus* ، وعلى جهته الاخرى مُثل قوس النصر المقام في ساحة النوروم . ونحت الفنانون صورة إرجاع الألوية على درع اغسطس في تماله الرائع المكتشف عند بربا پورتا .

* * *

ومن الحق ان نحتم بقولنا ان الفارثيين ومن اتى بعدهم من الفرس الساسانيين تادموا رومة ، ثم بيزنطية ، مقاومة مجدية دامت حتى الفتح العربي في القرن السابع للمسيح .

(٢) راجع Tarn, *op. cit.*, p. 19

